زلزال الـ ٨٠٠ مليار دولار[1]:

هل يكتب الذكاء الاصطناعي الفصل الأخير للاقتصاد؟

Mohammad Hassan

Founder @RAFAAHwealth

في لحظة خاطفة، استيقظت الأسواق العالمية على مشهد لم تألفه منذ عقود؛ تبخّر ٨٠٠ مليار دولار من القيمة السوقية في ساعات معدودة. لم يكن السبب حربًا تقليدية أو أزمة ديون سيادية، بل كان "الوعي الجمعي" للسوق الذي وصل إلى قناعة مفادها أن الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد أداة إنتاجية، بل وحش كاسر يعيد صياغة مفهوم الاستهلاك والعمل.

حين تصبح التوقعات "واضحة" للجميع إلى هذا الحد المرعب، فاعلم أننا أمام لحظة تاريخية تتطلب هدوءاً تحليلياً يسبق ضجيج الشاشات. سراب الانهيار الكبير: ترتكز الرؤية التشاؤمية السائدة حالياً على حلقة مفرغة تبدو منطقية في ظاهرها: الذكاء الاصطناعي يتحسن، الشركات تستغني عن الموظفين، القوة الشرائية تنهار، ثم تضطر الشركات لمزيد من الأتمتة للدفاع عن هوامش ربحها في سوق بلا مستهلكين.

هذا السيناريو يفترض أن الاقتصاد العالمي "نظام مغلق" وجامد لا ينمو، وأن الطلب على الخدمات ثابت لا يتغير. لكن التاريخ يخبرنا بشيء مغاير تماماً؛ فكلما انهارت تكلفة إنتاج خدمة أو سلعة، انفتحت آفاق لاستهلاك لم يكن يخطر على بال أحد.

دروس من تاريخ "الحوسبة الرخيصة": عندما بدأت أسعار أجهزة الكمبيوتر في الانخفاض بنسبة تجاوزت ٩٩٪ منذ الثمانينيات، لم يتوقف البشر عن استخدام التكنولوجيا لأنها أصبحت رخيصة، بل استهلكوا أضعافاً مضاعفة منها. ما نراه اليوم مع نماذج مثل Anthropic وClaude في إعادة كتابة الأكواد البرمجية أو إدارة الخدمات القانونية والطبية ليس "نهاية للعمل"، بل هو تحويل "المعرفة" من مورد نادر وباهظ الثمن إلى سلعة وفيرة. الأسواق الآن لا تسعر "الانهيار"، ولكن تحاول تسعير "تبخر الاحتكار المعرفي" الذي كانت تعيش عليه شركات كبرى لسنوات. — ناتج الوفرة الإجمالي: بينما يركز

[1] x.com, 24 Feb 2026, Link.

المستثمرون على أخبار التسريحات، هناك قصة أكبر تدور في الخفاء وهي "انضغاط الأسعار". قطاع الخدمات يشكل ما يقرب من ٨٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي في الاقتصادات المتقدمة، ومعظم هذه الخدمات مكلفة لأنها تتطلب وقتًا بشريًا مكثفًا. الذكاء الاصطناعي يعمل كخفض ضريبي غير مرئي؛ فإذا انخفضت تكلفة تأسيس شركة، وتكلفة الحصول على استشارة قانونية، وتكلفة البرمجة، فإن القوة الشرائية الحقيقية للأسر ترتفع تلقائيًا حتى لو لم تزدد الأجور الاسمية. نحن ننتقل من "نمو الأرقام" إلى "نمو الوفرة".

إعادة هيكلة لا اختفاء: الحقيقة التي يتجاهلها الكثيرون هي أن الذكاء الاصطناعي يواجه صعوبة بالغة في محاكاة المهارات الفيزيائية، والهوية الإنسانية، والمهارات الحرفية المتقدمة. في المقابل، يقلل الذكاء الاصطناعي الحواجز أمام ريادة الأعمال؛ فاليوم يمكن لفرد واحد أن يدير مؤسسة كانت تتطلب جيشًا من المحاسبين والمبرمجين والمسوقين. هذه القدرة على خلق "الشركات الصغرى العملاقة" هي المحرك القادم الذي سيقلص الفجوة الطبقية، ويعيد توزيع الثروة بعيدًا عن المؤسسات المركزية الضخمة التي تعيش على استغلال تعقيد الأنظمة.

السلام القادم من رحم الإنتاجية: أحد أكثر الجوانب إثارة للتأمل هو الأثر الجيوسياسي لهذه الوفرة. معظم الصراعات التاريخية قامت على ندرة الموارد؛ الطاقة، الغذاء، أو طرق التجارة. عندما تنجح الإنتاجية المدعومة بالذكاء الاصطناعي في خفض تكاليف الطاقة وتحسين الخدمات اللوجستية وتوطين الصناعة عبر الأتمتة، فإن دوافع الصراع تتقلص. العالم الذي ينتج أكثر بتكلفة أقل هو عالم أقل ميلاً للحروب التجارية والنزاعات الصفرية.

الرهان على قدرة الإنسان: الفرق بين "أزمة ذكاء عالمية" و"طفرة ذكاء عالمية" لا يكمن في قدرة الآلة، بل في مرونة الإنسان على التكيف. الأسواق تمر بمرحلة انتقالية مؤلمة، تعيد فيها تقييم الأصول بناءً على الكفاءة لا على العراقة. أولئك الذين ينظرون إلى الأرقام بعين المحلل وقلب المستكشف يدركون أننا لا نعيش نهاية العالم، بل نعيش نهاية "الاحتكار المعرفي". العصر القادم ليس لمن يملك المعلومة، بل لمن يملك الرؤية لاستخدامها في عالم أصبحت فيه المعلومة مجانية للجميع.

IBM
256.00
252.00
248.00
244.00
240.00
236.00
232.00
228.00
225.50
220.00
23
24
CROWDSTRIKE
390.00
385.00
380.00
375.00
370.00
365.00
360.00
355.00
349.25
348.27
345.00
23
09:00
12:00
AMEX
344.00
340.00
336.00
332.00
328.00
324.00
320.00
316.00
23
09:00
12:00

IBM
256.00
252.00
248.00
244.00
240.00
236.00
232.00
228.00
225.50
220.00
23
24
CROWDSTRIKE
390.00
385.00
380.00
375.00
370.00
365.00
360.00
355.00
349.25
348.27
345.00
23
09:00
12:00
AMEX
344.00
340.00
336.00
332.00
328.00
324.00
320.00
316.00
23
09:00
12:00